

وظائف الإنسان تجاه ربّه



◀ قد ينسى الإنسان تقلّب الليل والنهار، والشهر والسنة، وما عليه من وظائف تجاه نفسه وربّه والحياة من حوله، ويعيش الغفلة في كلّ أوضاعه وعلاقاته، عندما تأسره زخارف الدنيا وزبرتها. وما على الإنسان أمام هذه الحال، إِلَّا أن يبادر بجدّية ووعي إلى التحذّف من أثقال الذنوب، والسعى الدؤوب إلى العمل الصالح، والابتعاد عن طرق الانحراف والفساد والضلال، إذ يتربّص به الشيطان عند كلّ مفترق، ليجعله لقمة سائفة في فمه.

وشتّان ما بين أهل الزهد والورع، الذين يشقّون طريقهم بسرعة إلى خالقهم، يواجهون كلّ المصاعب ولا يضعفون، بل يزدادون قوّةً وإيماناً وصبراً وعزيمةً، فكلّ همّهم الوصول إلى الآخرة وهم في أحسن حال من الرضا، لذا تراهم تحفّفوا من أثقالهم في الدنيا، فلا يغتباون أحداً، ولا يعتدون على حقّ أحد، ولا يظلمون أحداً، بل يمارسون كلّ خُلُقٍ كريم يجمع ولا يفرّق، ويوحّد الناس في مشاعرهم وأفكارهم، فلا يوقعون الفتنة بينهم، ولا يتحرّكون في سبيل نشر الفساد والباطل في الأرض.

أمّا أهل الباطل والصلالات، فيفعلون ما يمقدورهم ليصلوا إلى نزواتهم وشهواتهم ومصالحهم، ولا يتورّعون عن ارتكاب المحرمات وكلّ ما يغضب الله تعالى في سبيل الوصول إلى ذلك، فتراهم وقد ثقلت ظهورهم من الذنوب والمعاصي، وحجبوا أبصارهم عن التفكّر في الآخرة، وخلدوا إلى الدنيا ومتاعها، فبذلوا كلّ وسعهم في التعدّي على حقوق الناس وكراماتهم.

علينا أن نختار بوعيٍ بين أن نكون من أهل الرزء والتقوى والورع، وننهض بوطائنا ومسؤولياتنا تجاه الله والناس والحياة من حولنا، أو نسلك سبيل المضلّين الذين تمسّكوا بالدنيا، وأخلصوا لرغباتهم المنحرفة على حساب واجباتهم.

إنّ هذا الاختيار يستدعي مذمّاً وعيّاً ومسؤوليةً وبصيرةً وإعمالاً للعقل، ومراجعةً لكثيرٍ من العلاقات والأوضاع، بغية تصحيحها وجعلها في خدمة خطّ الله، هذا السبيل الذي يجلب لناأماناً في الدنيا، وسعادةً في الآخرة.

فلننخفّف من حبّ الدنيا والانغماس فيها، ولننطلق قلوبنا بمشاعر الإخلاص، والعمل في سبيل الوصول إليه، ولنعتبر من الأوّلين الذين مضوا ولم تبق لهم الدنيا بما فيها، على اعتبار ينفعنا.

يقول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) : "إإنّ الغاية أمامكم، وإنّ وراءكم الساعة تحذكم. تخفّفوا تلحقوا، فإنما ينتظر بأوّلكم آخركم، تجهّزوا رحمكم الله، فقد نودي فيكم بالرحيل، وأقلّوا العُرجة على الدنيا، فإنّ أمامكم عقبة كؤوداً، ومنازل مخوفة مهولة، فإذا ما ينتظر بأوّلكم آخركم".

طريق الحقّ واضح أمامنا، وطريق الباطل كذلك، وما على الإنسان سوى الاختيار السليم الذي يأْمن معه في دنياه وآخرته. ▶